

اسم المادة الدراسية عربي : أدب عصور متأخرة .

Literature of Later Ages: اسم المادة الدراسية الانكليزي

اسم الحاضرة : الفنون الشعرية المستحدثة (الزجل
والمواليا) .

اسم التدريسي : أ. د. محمد عويد محمد الساير .

المستوى الدراسي : الثالث .

الدراسات : الصباحي / المسائي .

الاسبوع : السادس .

الزجل :

الرَّجْلُ : بالتحريك ، اللعب والجلبة ورفع الصوت ، وقد زجل زجلا فهو زجل وزاجل ، وربما أوقع الزاجل على الغناء ، قال :

وهو يغنيها غناء زاجلاً

فالزجل فن يعتمد إلى حد كبير على الغناء والحركة ، حتى يتسنى لسامعيه أن يتلذذوا به . قال صفي الدين الحلي : (إنما سمي هذا الفن زجلا ، لأنه لا يلتذ به، وتفهم مقاطيع أوزانه ، ولزوم قوافيه ، حتى يغنى به ويصوت، فيزول اللبس بذلك).

وقد ولد الزجل في الأندلس في أواخر القرن الرابع للهجرة ، ونشأ فيها ، وتطور على ايدي زجالة مشهورين ، ولعل من أبرز من اسهم في إفرازه من التوشيح في القرن الخامس للهجرة الزجال المشهور أخطل بن مارة ، حتى إذا جاء القرن السادس للهجرة، بلغ الزجل عصره الذهبي على يد ابي بكر بن قزمان (ت ٥٥٥هـ) شيخ صناعته وامام فنه ، ثم استمر تطوره في القرن السابع للهجرة ، ولا سيما فيما يتعلق بجنوحه نحو التصوف والزهد بسبب ما حاق بالأندلس من المحن والمصائب والنكبات والنوائب ..

وانتقل الزجل إلى المشرق ، ودخل مصر قبل غيرها ، بحكم قربها من المغرب ، ثم انتقل إلى الأقطار العربية الأخرى ، ولا سيما الشام والعراق . واول من عني به من المشاركة الشاعر المشهور صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ)، إذ جعله في مقدمة الفنون الشعرية غير المعربة في كتابه ((العاطل الحالي والمرخص الغالي))، وتابعه في هذا المجال تقي الدين ابو بكر بن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) في كتابه : (بلوغ الأمل في فن الزجل).

قال صفي الدين الحلي في مكانة الزجل ومنزلته بين الفنون المستحدثة الأخرى : «هو ارفعها رتبة ، واشرفها نسبة ، واكثرها اوزانا ، وارجحها ميزانا . ولم تزل إلى عصرنا هذا أوزانه متجددة، وقوافيه متعددة، ومخترعوه اهل المغرب، ثم تداوله الناس بعدهم». وقال في اقسامه : «وقد قسمه مخترعوه على اربعة اقسام ، يفرق بينها بمضمونها المفهوم ، لا بالأوزان واللزوم ، فلقبوا ما تضمن الغزل والنسيب والخمري والزهري : زجلا . وما تضمن الهزال والخلاعة و الإحماض : بليقا. وما تضمن الهجاء والتلب : قرقياً. وما تضمن المواعظ والحكمة : مكفراً، ولقبه مشتق من تكفير الذنوب ، واطلقوا على كل ما اعرب بعض الفاضل من هذه الفنون لقب المُزَّم، واشتقاق هذا اللقب من الزنيم ، وهو المستلحق في قوم ليس منهم».

والزجل ملحون ، بعيد عن الإعراب ، يغلب عليه التسكين ، ويصلح للغناء ، وينظم على بحور الشعر المعروفة إلى جانب بحور أخرى ابتدعها الزجالة ، والشائع فيه أن يكون البيت من أربعة أشطر أو مصاريح ، الثلاثة الأولى من روي معين،

والرابع من روي مغاير لها ، ولكنه ملتزم في كل شطر رابع في القصيدة ، ويشيع الجنس عادة في القوافي الثلاث الأولى، وقد ينظم الزجل أفعلا شبيهة بالموشج ، ولا يزيد القفل الواحد على بيتين ست في الغالب ، وربما يكون للبيت رويان ، أحدهما للصدر والآخر للعجز، وقد تسوده قافية واحدة.

لقد راج سوق الزجل في مصر كثيرة ، و زاد الاقبال عليه ، ومن الذين نظموا فيه عبد الملك بن الأعز بن عمران التقي الأسنائي (ت ٧٠٧هـ)، إذ قال:

جفوني ما تنام إلا لعلي أن أراك
فزرنني قد براني الشو قُ يا غصن الأراك
وطرفي ما رأى مثلك وقلبي قد حواك

فهو لك لم يزل مسكن فسبحان الذي أسكن وحسنك كم به أفتن
وما قصدي سواك

حبيبي أه ما أحلى هـواني فـي هـواك
فخل الصد والهجران ولا تسـمع مـلام
وصلني يا قضيب البان فـي قلبـي ضـرام
وجد للهائم الولهان يـا بـدر التـمام
وهكذا يلاحظ القارئ هذا الزجل اللطيف المنساب في لغة رقيقة وبعيدة عن الألفاظ النابية التي تخدش السمع، وبخلاف الأزجال الكثيرة التي قبلت في الخلاعة والمجون .

ومن الذين برعوا في نظم الأزجال في مصر الوزير محمد بن محمد بن علي (ت ٧٠٧هـ)، ومحمد بن عمر المعروف بابن المرحل (ت ٧١٦هـ) ، و ابراهيم بن الحائك المعمار (ت ٧٤٩هـ).

وسرعان ما انتقل الزجل إلى الشام، واستساغة العامة والخاصة ، وعبروا به عن مشاعرهم وأحاسيسهم مهم ، وكثر عدد الزجالة ، ومن أشهرهم شهاب الدين أحمد بن عثمان الأمشاطي (ت ٧٢٥ هـ) ، وعلي بن مقاتل الحموي (ت ٧٦١هـ) ، وابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ).

لقد نظم الأدباء الزجل إلى جوار القصيد ، واستشهدوا به في تأليفهم ، حتى إن الشيخ شمس الدين بن الصائغ (ت ٧٧٦هـ) أورد في شرحه لبردة البوصيري الذي سماه «رقم البردة» شيئاً من محاسن أزجال عصره . قال - ابن حجة الحموي : «ورأيت الشيخ شمس الدين بن الصائغ - رحمه الله قد استشهد في شرح البردة الذي سماه «الرقم بغالب أهل عصره فيما عرض من أنواع البديع حتى أورد لهم شيئاً من محاسن الزجل».

ووصل الرجل إلى العراق ، و أقبل عليه الشعراء، و نظموا فيه. قال صفي الدين الحلبي : «ولأهل بغداد خاصة دون المشاركة أزجال رقيقة ، بألفاظ لطيفة، على

اصطلاح لغتهم ، وجري ألسنتهم، على قاعدة اللحن المختص بهم ، كالإمالة والإدغام و تبديل حرف بآخر للتحسين ، و غير ذلك لا يشاركون فيها مشاركون».

واشتهر عدد من الشعراء العراقيين بنظم الزجل ، ولم يتورع بعضهم من الإغراق في المجون والخلاعة والتهتك ، مثل تقي الدين علي بن عبدالعزيز البغدادي (ت ٦٨٤هـ)، وقد أورد ابن شاکر الکتبي نماذج من أزجاله ، وقال عنه : كان من أظرف خلق الله تعالى ، وأخفهم روحاه .

ولصفي الدين الحلبي أزجال لطيفة، حاكي في قسم منها أزجال المصريين والشاميين من ذلك مانظمه للمسحرين ، ليغنوه في ليالي شهر رمضان، وفيه مدح و دعاء للملك الصالح شمس الدين بن غازي بن أرفق صاحب مردين:

أنت يا قبلة الكرام	زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام	ويعيدك على السنين
أنت شامه بين الأنام	الله يحرس شمايالك

وفي خاتمة هذا الزجل يقول:

لا عدنا في كل صوم	ذا السحور فيك وذا الهنا
كل ليلة وكل يوم	ننشر الشكر والثنا
الله يحييك بين خير قوم	بالغ القصد والمنى
حين تقضي فرض الصيام	بين ولدانٍ وحوورٍ وعين

الموالي :

نظم مستحدث اختلف الدارسون القدامى في نشأته وتاريخه ، قال صفي الدين الحلبي: ((له وزن واحد ، وأربع قواف على روي واحد، ومخترعوه أهل واسط من بحر البسيط ... ونظموا فيه اللفظ القوي الجزل في الغزل والمديح والصنائع على قاعدة القريض المعرب... ولم يزالوا على هذا الأسلوب حتى تسلمه البغاددة ، فلفظوه ونحوه ، ورققوا ودققوا وحذفوا الإعراب منه ، واعتمدوا على سهولة اللفظ ، ورشاقة المعنى ، ونظموا فيه الجد والهزل ، والرقيق والجزل ، حتى عرف بهم دون مخترعيه ، ونسب إليهم وليسوا بمبدعيه ، ثم شاع في الأمصار، وتداوله الناس في الأسفار)). وقال آخرون : اخترعه أشياح البرامكة وأتباعهم بعد نكبتهم ، فقد حرم عليهم هارون الرشيد رثاءهم باللغة الفصحى، فراحوا يرثونهم وينوحون عليهم بلغة غير معربة ، أي بما يشبه العامية ، وينهون مقاطعهم بعبارة ((يا مواليا)) فعرف هذا اللون بالمواليا. ولعل ذلك من زيادات موالي بني برمك الذين عز عليهم مصرع أسيادهم وقيل : سمي به لمولاة بعض قوافيه بعضا.

ويتكون المواليا من أربعة مصاريع متشابهة الأواخر ساكنة الروي ، و منظوم على بحر البسيط ، والذين ينظمونه يسمون الموالاة، وهم لا يلتزمون فيه ضوابط اللغة العربية من حيث الإعراب . وقد أشار ابن خلكان إلى طبيعة هذا الفن وطريقة نظمه

فقال : ((ألم بعض البغاددة في مواليا على اصطلاحهم فإنهم ما يتفيدون بالإعراب فيه، بل يأتون به كيفما اتفق ، وهو:

ظفرت ليلية بلياتي ظفرة المجنون
وقلت وافى لحظي طالع ميمون
تبسمت فأضياء اللؤلؤ المكنون
صار السدجى كالضحى فاستيقظ الواشون))

وشاع المواليا في أواخر الدولة العباسية . وتولع به عدد من الشعراء ، . وخصصوا له مكانا في دواوينهم ، منهم الشاعر المشهور حسام الدين الهاجري الإربلي (ت ٦٣٢هـ)، من ذلك قوله في محبوب رآه في منامه وقد عاد إليه بعد جفوة وقطيعة:

يامن ملكني وعن طرق الوفا عرّج
أطلق رقبادي وجفني بالسهر زوّج
ومن لحسنك بتاج الحسن قد توّج
عيد الوصال فبحر الشوق قد موج

ومن الشعراء العراقيين المشهورين بنظم المواليا مجد الدين اسعد بن ابراهيم النشابى (ت ٦٥٦هـ) ، وعلي بن إبراهيم بن معتوق المعروف بابن الثردة الواسطي (ت ٧٥٠هـ) وعز الدين الموصلى (ت ٧٨٩هـ) ... وقد أورد صفى الدين الحلبي مجموعة من نظمه في كتابه: ((العاطل الحالي والمرخص الغالي)) ، مثل قوله في العتاب:

عني تسليت وأسياف الجفا سليت
ومن توليت عن طرق الوفا وليت
ولما تمليت بالأعمال لي مليت
إذا تخليت تعرف قدر من خليت

وقد طاب للمصريين النظم في المواليا ، قال ابن خلدون : « أتوا فيه بالغرائب ، وتبحروا في أساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضرية ، فجاءوا بالعجائب» ، ونسب ابن خلكان مواليا إلى عمر بن الفارض (ت ٦٣٢هـ) وعلق عليه بقوله : وقد كتبتة على اصطلاحهم ؛ فإنهم لا يراعون فيه الإعراب والضبط ، بل يجوزون فيه اللحن، بل غالبه ملحون ، فلا يؤاخذ من يقف عليه، ومن الذين اشتهروا في مصر بنظمه الحسن بن علي المعروف بابن طرطور (ت ٧٦٢هـ)، وأحمد بن علي المعروف بالحجازي، (ت ٨٣٦هـ)، وعبدالله بن أبي الفرج بن موسى القبطي المصري (ت ٨٤٠هـ) و بدر الدين الزيتوني (ت ٩١٠هـ) وكان فارسا مجلية في نظم المواليا، وهو القائل في مدح الرسول الكريم ﷺ:

امدح أمة محمد يظهر الإبناس
وحد في المدح واخزي الحاسد الخناس
منهم ورب الفلق في سائر الأجناس
من القدم خير أمة أخرجت للناس

ورغب الشامويين بالمواليا وشاع بينهم أيضاً في النظم والكتابة والانشاد ولحنه المغنون في الاغراض التي نُظمت فيه ، وهو أقرب الى المواليا المصري لتقارب البلدين في الثقافة والاشتراك في حكم المماليك لهم ، ومن اشهر من نظم المواليا في بلاد الشام هم : عز الدين ابراهيم بن محمد بن طرخان المعروف بابن السويدي (ت ٦٩٠هـ)، والصفدي (ت ٧٦٤هـ)، ومن ذلك قول ابن السويدي في الغزل :

الْبــــدرُ والسعدُ : ذا شبــــهك وذا نجمك

والســــعدُ واللحظُ : ذا رمحك وذا سهمك

والبغــــضّ والحبُّ : ذا قســــمي وذا قســــمك

والمســــاكُ والحسْنُ : ذا خالك وذا عمك

وشاع المواليا في السودان ، وفي بلاد المغرب وكان يعرف هناك بـ : (العيطة) ونُظم في أغراض الجهاد والحماسة والشعر الديني ، وينتهي بعد إنشاده بكلمة : سيدي . وهو لا يخرج عما كان عليه في بلاد المشرق من اللحن ومن اللطافة في التعبير والصور والمضمون .